

لغز دائرة الفزع

سكينٌ تقطّع كل جزءٍ من جسدي ، عظامي تصرخ من الألم ، أين أنا؟! .. !

المكان مظلمٌ جداً ، مدّدت يدي وبدأت أزحف على الأرض الباردة جداً ، وكأنها منحوتةٌ من الجليد..

أحسست أنني داخل إحدى الكهوف .. لحظة ! هناك أصواتاً غريبة .. يبدو انني لست لوحدي هنا.. لكن ما الذي أتى بي إلى هذا المكان ؟ !

حاولت أن أهدأ ، وبدأت أحاول أن أتذكر آخر الأحداث التي صارت معي .. هناك مثلاً قديم يقول : ((أن النار تبدأ من مستصغر الشرر)) و هذا المثل صحيح ، لكن الأصح أن هنالك أشياء ليس لها تفسير على الإطلاق..

ايّ ليس لها أي سبب كيّ تحدث .. مجرد أنه مقدرٌ لها أن تحصل .. لكن كيف و لماذا ؟ فليس هذا مهماً ، ولا يجب أن نسأل عنه ..

اسمي أمين ، وأنا في العقد الثالث من العمر .. أعيش في قرية صغيرة ، وأعمل محاسباً في إحدى المتاجر ..

وفي يوم كنت عائداً إلى المنزل متأخراً ، و كانت الساعة حوالي الواحدة بعد منتصف الليل .. وكان الجو بارداً لدرجة انني كنت أرتجف من شدة البرد ..

فحاولت أن أسرع الخطى كي لا أتأخر أكثر .. و كنت أسير بمحاذاة الطريق السريع الذي كان مظلماً تماماً , و قد خلت طرقاته من السيارات ..

و فجأة !! رأيت ضوءاً سطع في عيني ! إنها سيارة و كان ضوءها قوياً جداً ، و لا أعرف لما أحسست بحقد تجاه الجالسين في تلك السيارة !

فأمسكت بحجرٍ صغيرٍ و عندما اقتربت السيارة مني , رميتهم بالحجر .. لكن ما الذي حصل بعد ذلك ؟! حقاً لا أذكر!

فكل الذي أذكره أن السيارة تحولّت إلى غرابٍ أسود كبير بحجم السيارة ، قبيح الشكل كأنه مخلوقٌ من الجحيم .. ثم حلّق الغراب في السماء ، و طار بعيداً حتى أخفى القمر وراء جناحيه !

و فجأة !! صرخ صرخةً مخيفةً جداً ، كانت أقوى صرخةً سمعتها في حياتي ، و يستحيل أن تكون صرخة غراب !

(أنا لن أنتظر !! يجب أن أهرب من هذا الشيطان)!

جريت بكل ما أوتيت من قوة ، و الغراب يصرخ من فوقي و كأنه يناديني ، ثم صرت أشعر به و هو يقترب مني تدريجياً .. لمحت مخالفه الحادة من فوقي ، فرفعت رأسي إليه و شعرت بأن قلبي سيتوقف من الخوف ، خاصة حين قابلت عيناه ، اللتان كانتا حمراوين بلون الدم و الشرر تتطاير منهما ..

فحاولت الهرب منه ، لكنني اصطدمت بحجرٍ على الأرض و بدأت
أتدحرج كالكرة بسرعةٍ رهيبية ، حتى امسى جسدي مليئاً بالجروح و كان
الألم فظيماً ..

حاولت أن أقف بسرعة ، لكن الغراب لم يعطيني فرصة .. فهجم عليّ
!! بمخالبه الكبيرة التي الصقنتني بالأرض .. و آخر شيءٍ رأيته كان منقاره
و هو يتجه ناحية رأسي .. و من ثم حلّ الظلام

و كل شيءٍ اختفى ، و حلّ بداله الصمت و الهدوء !
ثم وجدت نفسي هنا ، في هذا المكان الغريب !
حتى الآن لم أصل إلى تفسير ! لماذا أنا هنا ؟

لحظة !! .. لقد بدأ المكان يشعّ بالنور ! لكنه ليس نور مصباح ، إنما
الجدران نفسها بدأت تشعّ بنورٍ خفيف ! على الأقلّ هذا جعلني أرى المكان
الذي أنا فيه ، لكن للأسف ما رأيته جعلني أخاف أكثر ..

فقد كان هناك ثلاث رجالٍ مرميين على الأرض ، و يبدو من ملامحهم
أنهم مرعوبين مثلي ! و كنا جميعاً داخل غرفة صغيرة ، يشعّ من جدرانها
نوراً يتراوح بين اللون الأحمر و الوردي ..

و كانت الغرفة فارغة ، و ليس فيها قطعة أثاث واحدة .. بل الأسوء
أنها كانت غرفة من غير أبواب ! .. إذاً كيف دخلنا إليها ؟ !

ثم تجمّعنا نحن الأربعة بوسط الغرفة ، و جلسنا على شكل دائرة .. و
كان الشيء المشترك بيننا هو أننا جميعاً خائفون ، و لا نعلم كيف أتينا إلى

هنا.. كما هناك شيئاً آخر نشترك فيه , لكنكم ستعرفونه عند نهاية قصتي

و بدأ أول شخص من الثلاثة بالكلام , و قد كان شاب في العشرين من عمره , و يبدو من طريقة كلامه أنه متعلّم تعليماً أجنبياً , كما واضح من ملابسه و كمّية الخواتم الثمينة التي في يده بأنه غني .. و قال الشاب :

-اسمي سمير , و عمري عشرون عاماً .. هل تعرفون الذين يولدون و في أفواههم ملعقة من الذهب ؟ أنا من هؤلاء الأشخاص .. درست خارج الوطن , ثم عدت إلى القاهرة منذ حوالي سنة تقريباً ..

و لا أعرف كيف أتيت إلى هنا ! لكنني سأقصّ عليكم ما اتذكره من احداث .. يقولون أن الإنسان يشعر بميعاد موته قبل أربعين يوماً , و أنه يكون ميتاً في الأساس لكنه لا يشعر بذلك

كنت حينها عائداً من سهرة جميلة .. سهرة من السهرات التي يكون فيها العديد من الأمور سواءً جيدة ام السيئة .. ليس هذا هو المهم , المهم أنني كنت أفرح و أرقص و استمتع بوقتي..

و عندما عدت إلى المنزل , استلقيت على السرير و غرقت في نوم عميق .. آه نسيت أن أخبركم , بأني أعيش بمفردي في بيت كبير..

المهم نمت و استيقظت دون ان اعلم كم ساعة قضيتها في النوم .. كل ما اذكره انني استيقظت على صوت يناديني : يا سمير !! يا سمير !!

كنت اعرف صاحب الصوت .. إنه صوت والدي !! أنا متأكد أنني سمعت صوت والدي , لكن والدي ميت ! نعم هو ميت منذ حوالي سنتين ..

ثم سمعت صوت طرقٍ على الباب ، فصرخت بصوتٍ عالٍ :

-من أنت ؟ من الذي ينادي ؟

لأسمع صوت والدي بشكلٍ واضحٍ يقول- : يا سمير !! افتح الباب ،

أنا أبوك

-أبي ! و لكن كيف ؟ !

فأحسست بكل شعرة من جسمي تقف بسبب الدهشة الممزوجة

بالخوف !

و سرت ناحية الباب الحديدي المغطى بزجاجٍ ملوّن ، و الذي من

خلاله استطعت رؤية الخيال الذي كان يقف خلف الباب ، و كان خيال

يتحرك بصورة غريبة ، و كأنه يتموج كأمواج البحر !

مستحيل أن يكون والدي هذا الشيء ، أكيد إنه جني أو شيطان

متجسّد بهيئة والدي .. و بدأت أترجع الى الوراء بحذر ، فبدأ هذا

المجهول ينسحب من وراء زجاج الباب..

لكنه لم يكن يبتعد ، بل كان يزحف من تحت عتبة الباب ! ...كان

اللعين يدخل إلى بيتي !! ثم بدء يتجمّع من جديد و يتشكّل أمامي ! فحاولت

أن اهرب ، لكنني أحسست بقدمي تجمّدت في مكانها !

-تباً !! لا أستطع الحراك !

و صار الخيال يتجسّم أكثر , حتى أصبح على هيئة والدي ! لكن ذاك
لم يكن ابي , بل نسخة قبيحة عنه .. ثم مدّ يده نحوي و قال : سمير هيا
!! تعال إلى حضن أبيك ..

في هذه اللحظة أحسست بالدم يتجمّد في عروقي , و أحسست بدوارٍ
و صداع رهيب , ثم أغشي عليّ ..

و عندما فتحت عينايّ وجدت نفسي على سرير مستشفى , و جسدي
متصل بأجهزة كثيرة .. والدتي تجلس بجاني , و على وجهها آثار البكاء
.. فسألتها : ما الذي جرى ؟

فقالت : البارحة لم تجب على اتصالاتي المتكرّرة , فقلقت عليك .. و
ذهبت فوراً إلى منزلك .. و عندما دخلت , رأيته ملقى على الأرض و كان
مغشياً عليك .. فاتصلت على الإسعاف , الذين نقلوك إلى هنا .

ثم دخل علينا الطبيب , و كان يحمل بيده أوراقاً و تحاليل كثيرة
.. وقال بصوتٍ يخلو من المشاعر :

للأسف ! لديّ أخبار سيئة .. فقد اكتشفنا مرضاً نادراً في قلبك .. و
اظن انك ..

فنظرت إليه و قاطعته قائلاً : هل تقصد أنني سأموت ؟ !
قال : الأعمار بيد الله , لكن الطب يقول أن لديك أسبوعاً و ستوافيك المنية
فنزلت كلماته كالصاعقة عليّ و على امي المسكينة التي انهارت بالبكاء ,
بينما اكتفيت انا بالدهشة الناتجة من صدمة الخبر ..

وصرت اردد في داخلي : أنا أموت !! هل حقاً ستنتهي حياتي قريباً !

وفي هذه اللحظة فهمت لما استطعت رؤية والذي المتوفي .. يبدو ان ما سمعته عن روح الإنسان التي تسبقه بأربعين يوماً , صحيحة .. !

يعني روعي التي سبقتني الى الموت , استطاعت بالفعل مقابلة روح والدي ! و هنا اقترب الطبيب مني , و قال- : لكن يظل هناك أمل ...

فأحسست و كأني غريق قُدْف له طوق النجاة , فأسرعت بالقول :
-وما هو , يا الطبيب ؟ فالنقود ليست مهمة , المهم أن أعيش !!

فقال لي : الحل الوحيد هو أن ننقل اليك قلباً حياً , لكن هنالك مشكلة !!
فمسألة الحصول على قلب من نفس فصيلة دمك صعبة للغاية , لكن لا تقلق لديّ حلّ .

قلت له : كيف ؟ !

فقال : و هل أنت مستعد لدفع مليون جنية ؟

فقلت : مستعد طبعاً !!

قال : حسناً اذاً !! فهناك أناساً يستطيعون جلب القلب الذي يناسب حالتك , لكن هذا سيبقى سرّ بيني و بينك .. (و بحزم) .. افهمت !!

بالطبع فهمت قصده , فهو يبدو انه متورط في تجارة الأعضاء مع عصابة ما , تخطف الناس الفقراء او المشرّدين ليقتلوهم لاحقاً بعد ان يسرقوا أعضائهم..

لكن كل هذا لا يعنيني .. المهم أن أعيش !!

فوافقت على اقتراحه .. و تمّ تحديد موعد العملية التي ستكون بعد ثلاثة أيام .. لكن ليس طببيي من سيقوم بها , بل طبيب ثاني متخصص بهكذا عمليات ..

و كانت ليلة العملية , ليلة لا تنسى .. فقبل ان ادخل للعملية .. نهضت فجأة ! على صوت طرق على الباب , و سمعت صوت أناس تنادي عليّ و كان صوتهم أجشّ و مزعج ..

فصرخت بأعلى صوتي :

-ابتعدوا عني !! ابتعدوا عني !!

لكن الأصوات التي تناديني بدأت بالازدياد أكثر فأكثر , و فجأة حلّ الصمت الرهيب على المكان ! و انطفأت الأنوار و اصبح المكان مظلماً ..

لكن بالرغم من هذا , استطعت بوضوح رؤية امرأة سوداء , وجهها كان محروقاً بشكلٍ فظيع , و ما تبقى من شعرها المحروق يتطاير في كل اتجاه !

ثم طفى جسمها في الهواء , حتى استقرّت فوقى تماماً عند سقف الغرفة ..

يمكنكم تخيّل المشهد : أنا على السرير , معلق بالمحاليل المتصلة بجسدي , و فوق رأسي شبح امرأة سوداء بوجه محروق ..

و هنا !! مدّت يدها نحوي و كأنها تريد أن تسحبني معها !

فبدأ جهاز نبضات قلبي يصدر إنذاراً , بأن قلبي على وشك أن يقف .. و كنت حينها اشعر بأنني أموت فعلاً .. لكن فجأة عادت الأنوار ! و اختفى ذلك الشبح ..

و دخلت الممرضة و الطبيب المراقب الى غرفتي , يبدو انهم سمعوا ايضاً صوت الإنذار ..ثم أجرى الطبيب بعض الصدمات الكهربائية على قلبي وما هي إلا دقائق حتى عاد قلبي ينبض من جديد ..

ثم اخذوني سريعاً الى غرفة العمليات .. و آخر شيء اذكره هو الطبيب الذي وضع قناع التخدير فوق انفي ..

واذكر انني سمعته وهو يتحدث مع الطبيب المسؤول عن عمليتي , وكانت اصواتهم لا تخلو من التوتر !

ومن ثم حلّ الظلام عليّ من جديد .. ومن بين الظلام ظهر فجأة ! غراب من نار , يبدو و كأنه قادم خصيصاً لأجلي ..

حاولت أن أهرب منه , لكنه هجم عليّ و غرز منقاره في صدري .. ورأيته وهو ينتزع قلبي مني بمنقاره , ثم ابتلعه و هو غير مبالي بصرخاتي الفزعة , و كأنه يستمتع بتعذيبي..

ثم اختفى كل شيء من حولي , لأجد نفسي هنا بينكم ! .. هذه هي حكايتي , و هذا كل ما أتذكره

انتهى سمير من سرد حكايته , لكنه لم يقل ايّ شيء يمكنه أن يفيدنا
!! والمطلوب عزيزي القارئ أن تتوقع ما هي النهاية.